

(١)

دور الشباب في بناء الدول والحضارات

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى} ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن الشباب عماد الأمة ، وقلبها النابض ، وساعدها القوي ، ولا ينكر أحد دور الشباب في بناء الأوطان والأمم ونهضتها ورفيها ، وقد جعل نبينا (صلى الله عليه وسلم) منزلة الشباب المستقيم الذي يخدم دينه ووطنه تالية لمنزلة الإمام العادل في السبعة الذين يظلمهم الله (عز وجل) في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : الْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ) .

ولقد حثنا النبي (صلى الله عليه وسلم) على اغتنام هذه المرحلة المهمة من مراحل العمر ، بالعمل والعطاء ، والتزود من عمل الخير لأنفسنا وديننا ومجتمعنا ؛ لتحقيق سعادتنا وما فيه خيرنا في الدنيا والآخرة ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : (اغْتَنِمِ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ) ، وبين (صلى الله عليه وسلم) أن

(٢)

الشباب نعمة - كغيرها من النعم - وأن العبد سيسأل عنها أمام الله (عز وجل) يوم القيامة ، فقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ : عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟) .

ومما لا يخفى على أحد أن سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) العطرة ، وأيامه النضرة شاهدة على اهتمامه (صلى الله عليه وسلم) بالشباب ، ورعايتهم وتعليمهم وتوجيههم ، وحرصه على الحوار معهم ، وتأهيلهم للقيادة ، فتراه (صلى الله عليه وسلم) يُدنيهم ويقربهم من مجلسه ، حتى يكتسبوا العلم والخبرة والحكمة ، وحتى يكونوا على إدراك كامل ، ووعي حقيقي بالواقع والأحداث من حولهم ، ثم يمنحهم (صلى الله عليه وسلم) الثقة بعد ذلك ، ويكلفهم بتحمل المسؤولية .

ففي غزوة بدر استشار النبي (صلى الله عليه وسلم) الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) ، فتكلم من شباب المهاجرين سيدنا المقدادُ بْنُ عَمْرٍو (رضي الله عنه) قائلاً : (يَا رَسُولَ اللَّهِ ، امْضِ لِمَا أَرَاكَ اللَّهُ فَنَحْنُ مَعَكَ ، وَاللَّهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ، إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ، وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ، إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ...)

ومن شباب الأنصار تكلم سيدنا سعدُ بْنُ مُعَاذٍ (رضي الله عنه) قائلاً : (وَاللَّهِ لَكَائِكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ أَجَلٌ ، قَالَ : فَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عَهْدَنَا وَمَوَاقِفَنَا ، عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فَاَمْضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَكَ ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخَضْتَهُ لَخَضْنَاهُ مَعَكَ ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، وَمَا نَكَرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا

(٣)

غَدَاً ، إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ ، صُدُقٌ فِي اللَّقَاءِ ، لَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقْرُبُ بِهِ عَيْنُكَ ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ) . فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ سَعْدٍ ، وَنَشَطَهُ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ : (سِيرُوا وَأَبْشِرُوا...).

وهذا سيدنا معاذ بن جبل (رضي الله عنه) يمنحه النبي (صلى الله عليه وسلم) ثقتَه ، ويبعثه إلى اليمن واليًّا وقاضيًّا - وهو في ريعان شبابه - ولما سأله (صلى الله عليه وسلم) : (كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ ؟) ، قَالَ : أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ (عز وجل) . قَالَ : (فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ ؟) . قَالَ : أَقْضِي بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) . قَالَ : (فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ) . قَالَ : أَجْتَهِدُ رَأْيِي لِأَلْو . فَضَرَبَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) يَدَيْهِ فِي صَدْرِ سَيِّدِنَا مُعَاذَ (رضي الله عنه) ، وَقَالَ : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ) ، وكان (صلى الله عليه وسلم) يقول عنه : (أَعْلَمُ أُمَّتِي بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ) ، وكان سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول : عجزت الأمهات أن يلدن مثل معاذ . وقد مات معاذ (رضي الله عنه) دون الأربعين .

وكان ممن نبغوا في ريعان شبابهم سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) ، وكان ذلك ببركة دعاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) له ، حيث دعا له قائلاً : (اللَّهُمَّ فَهِّهُ فِي الدِّينِ ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ) ، وكان سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يجلسه في مجلس شورى كبار الصحابة ، ويقول : (ذَاكَ فَتَى الْكُهُولِ ، إِنْ لَهُ لِسَانًا سَوُوءًا ، وَقَلْبًا عَقُوءًا) .

وهذا سيدنا مصعب بن عمير (رضي الله عنه) - فتى قريش المدلل - الذي تربي على الثراء والرفاهية ، وحينما امتلأ قلبه بالإيمان ، كان من أول من هاجر من مكة

(٤)

إلى المدينة ، بتكليف من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ليكون أول سفير للإسلام ، فنجح (رضي الله عنه) في بناء قاعدة إسلامية في المدينة ، تمهيداً لهجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فكان من بركته أن أسلم جلُّ أهل المدينة على يديه ، ومات (رضي الله عنه) شهيداً يوم أحد ، وقد قارب الأربعين من عمره .

وفي يوم مؤتة وهي معركة من أشد المعارك التي خاضها المسلمون ، يمنح النبي (صلى الله عليه وسلم) الشباب قيادة الجيش ؛ فيولي عليهم سيدنا زيد بن حارثة (رضي الله عنه) ، ثم يقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ) ، وكان الثلاثة شباب في أوائل العشرينيات (رضي الله عنهم جميعاً) .

لقد أولى النبي (صلى الله عليه وسلم) الشباب اهتماماً كبيراً ، ومنحهم الثقة ، وحملهم المسؤولية ، للتأكيد على ضرورة استثمار مرحلة الشباب الاستثمار الأمثل ، وبذل الوسع في توظيف طاقاتهم وقدراتهم ، وتهيئة الظروف أمامهم ، لتنمية مواهبهم ، وتعظيم الاستفادة مما أفاء الله تعالى عليهم به من قوة في البدن ، ورجاحة في العقل ، ولين في القلب ، ولطف في المشاعر ، فيما يعود بالنفع العميم على المجتمع كله ، وكان الحسن البصري (رحمه الله) يقول : (قَدِّمُوا إِلَيْنَا شَبَابَكُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ أَفْرَغَ قُلُوبًا ، وَأَحْفَظَ لِمَا سَمِعُوا ، فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُتِمَّهُ لَهُ أْتَمَّهُ) .

ولسنا نبالغ إذا قلنا : إن كثيراً من مظاهر التقدم والتطور العلمي الذي يعيشه العالم في العصر الحديث في شتى المجالات قامت على أكتاف الشباب الذين أسهموا بجهود متميزة في خدمة الإنسانية ؛ ففي مجال الفضاء نجد أن أصغر رائد فضاء لم يكن عمره يتجاوز الخامسة والعشرين عندما صعد إلى الفضاء في عام

(٥)

(١٩٦١)، وكما كانت أول امرأة في التاريخ تطير إلى الفضاء منفردة دون طاقم
يصحبها شابة في السادسة والعشرين من عمرها ، وذلك في عام (١٩٦٣) .
وعند الحديث عن أشهر وأوسع مواقع التواصل الاجتماعي (فيس بوك) نجد أن
من أسسه هو شاب في العشرين من عمره ، وكذا الحال مع من وضع نواة أكبر مصنع
للإلكترونيات في العالم كان وقتها في العشرين من عمره ، وفي إبريل من عام (١٩٧٦)
قام شاب في الثانية والعشرين من عمره بتأسيس وتسويق واحد من أوائل خطوط
إنتاج الحاسب الشخصي في العالم ، ثم أبهر العالم بعد ذلك مع زملائه بما أدخلوه
عليه من تطور تكنولوجي كبير على شركتهم التي أسسوها في هذا المجال ، وهناك
مئات النماذج المشرفة أمثالهم ، فقد عرف تاريخنا المعاصر نماذج مشرفة من الشباب
على المستوى الوطني ، وعلى المستوى الدولي .

على أن الاهتمام بالشباب والحرص على تأهيلهم للقيادة وتحمل المسؤولية منهج
نبوي أصيل سار عليه الخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم) بعد وفاة رسول الله (صلى
الله عليه وسلم) ؛ فهذا سيدنا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) يكلف سيدنا زيد بن
ثابت (رضي الله عنه) بجمع القرآن الكريم ، قائلاً له : (إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ ، وَلَا
نَتَّهِمُكَ ، كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَتَتَّبِعِ الْقُرْآنَ
فَاجْمَعَهُ) . وهذا تكليف عظيم ، ومهمة كبيرة قال عنها سيدنا زيد (رضي الله عنه) :
(فَوَ اللَّهُ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ ، مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ
الْقُرْآنِ) ، قال ابن حجر (رحمه الله) معلقاً على كلام سيدنا أبي بكر (رضي الله عنه) :
فكونه شاباً يكون أنشط لما يطلب منه ، وكونه عاقلاً فيكون أوعى له ، وكونه لا يتهم
فتركن النفس إليه ، وكونه كان يكتب الوحي فيكون أكثر ممارسة له .

(٦)

وهذا فهم عميق من الصديق (رضي الله عنه) ، ينبغي لنا أن نقف معه ، فعند إعداد قيادات المستقبل لا بد من توافر صفات ومقومات ، تأتي في مقدمتها الكفاءة والأمانة ، وهو ما ينبغي توفره في كل من يتولى عملاً عاماً ، وهو أيضاً ما يجب أن نربي عليه أبناءنا وشبابنا ؛ حتى يستطيعوا تحمل المسؤولية ، بكل جدارة ، وكفاءة ، وكفاية .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .
إخوة الإسلام :

إن القرآن الكريم قد لفت أنظارنا إلى أهم صفتين من مقومات إعداد القادة واختيارهم ، وهما القوة والأمانة ، أو الحفظ والعلم ، حيث يقول الحق (سبحانه وتعالى) في قصة سيدنا موسى (عليه السلام) : { قَالَتْ إِحَدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ } ، ويقول سبحانه على لسان سيدنا يوسف (عليه السلام) في مخاطبة عزيز مصر : { اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ } ، فالأمانة وحدها لا تكفي ، والكفاءة بلا أمانة لا تُعني ولا تُجدي .

وفي إطار هاتين الصفتين لا بد من توافر صفات ومقومات تفصيلية وفق طبيعة المهمة التي تُوكل إلى القائد أو المسؤول ، ودرجة المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وحساسية المهام المنوطة بها ، ومن أهمها : التفاني والإخلاص في العمل ، والقدرة على تحمل الضغوط ، والعمل تحت الضغوط المتعددة ، والتعامل مع الأزمات

(٧)

وحسن معالجتها ، والرؤية السياسية ، والإلمام بمتطلبات الأمن القومي ، والقدرة على العمل بروح الجماعة والفريق ، والتميز في مستوى الوعي والثقافة العامة ، فثمة ما يعرف في علم الإدارة بعموم الفهم وخصوصية التكاليف ، ذلك بأن يكون الموظف أو المسؤل أو القائد على مستوى عال من الفهم العام لكل جوانب عمله ، والإلمام بأطرافه ، ومشكلاته ، وتحدياته ، وتداخلاته ، وتشابكاته مع الجهات الأخرى ، أو الزملاء الآخرين ، وأن يكون واسع الثقافة ، واسع الإدراك ، شديد الوعي بالمستجدات والمتغيرات ، وعلى أعلى قدر ممكن من الإدراك الذي قد يصل إلى درجة التفرد ، وعلى أقل تقدير مستوى التميز في المهمة الموكلة إليه .

على أنه مما ينبغي الإشارة إليه أن العلاقة بين الشباب والشيخ ليست علاقة صراع ولا إقصاء ؛ إنما هي علاقة تكامل وتضافر جهود ، فنحن في حاجة إلى طاقة الشباب حاجتنا إلى خبرة الشيخ ، وفي حاجة إلى خبرة الشيخ ، حاجتنا لطاقة الشباب وحماسهم .

**اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا أبدأ ما أحييتنا ،
وجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن .**